دور التربية الإسلامية في حماية البيئة "دراسة نظرية"

د. محمد أحمد الجلال *

المقدمـــة :

أصبحت البيئة ومشكلاتها ظاهرة عالمية ، ارتبط ظهورها بشكل أساسي نتيجة للتوسع في النشاط البشري بشتى صوره وأشكاله ، ونتج عن هذا التوسع استنزاف للموارد الطبيعية ، هذا الاستنزاف الذي كثيرا ما كان غير عقلاني ، مما أدى إلى تخريب البيئة في مناطق عديدة من العالم ، وأخذ هذا التدهور البيئي يتضح في مخاطر التلوث والتصحر وانقراض الكثير من أنـــواع النبـــات والحيوان[1]، إلى جانب وجود العديد من الأمراض الخطيرة والمستعصية التي أصابت بعض الكائنات الحية ، مما نتج عن ذلك الكثير من الخسائر الاقتصادية والاجتماعية .

والعلاقة بين الإنسان والبيئة مرت بعدة مراحل بعضها إيجابي يتفق مع التوازن الدقيق والنظام البديع المحكم الذي خلق الله عناصر البيئة ومكوناتها عليه، وبعضها سلبي جائر على عناصر البيئة ، وأول ما بدأت العلاقة بين الإنسان والبيئة كانت العلاقة القائمة تتسم بالانسجام والإيجابية ، معتمدة في ذلك على أساس أن الله سبحانه وتعالى سخر جميع مكونات البيئة لهذا الإنسان . واستخدام الإنسان لهذه المكونات وإدارتها دون العبث بها ، والإخلال بتوازنها أو الإسراف في استهلاك ثرواتها وكنوزها[2] .

ولم يستمر الحال على هذا الوضع ، بل جاءت مرحلة خطيرة على البيئة ، وصل مداها في نهاية القرن الماضي ، وربما تستمر على هذا الحال إلى نهاية هذا القرن ، وقد تمثلت هذه المرحلة في ضيق نظرة الإنسان لمستقبل عناصر البيئة وجهله بالكثير من القوانين والنواميس التي فطر الله عليها البيئة ومكوناتها ،

---

* استاذ مساعد / قسم العلوم التربوية والنفسية /كلية التربية /جامعة ذمار.

كما أن تصرفات الإنسان وأنانيته وحبه لذاته ورفاهيته دون الإحساس بمن حوله وما يحيط به من مكونات وعناصر بيئية كان لها دور سلبي واضح في تدهور البيئة وتدميرها [3] .

والبعض من الناس يعتقد أن عناصر البيئة مستمرة وغير منقطعة ، خاضعة له يفعل بها ما يشاء ، ويستخدمها دون ترشيد أو غاية ، إن كل التصرفات السيئة والسلبية نحو البيئة انعكس ذلك على عناصر البيئة أولا ، ثم على الإنسان وصحته وسلامته ثانيا ، وقد ساعد في ذلك انعدام وعي الإنسان ومعرفته بأن الله سبحانه قد استخلفه في الأرض ، وخصه وميزه بنعمة العقل ، ومن واجب الإنسان أن يستخدم هذا العقل فيما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع والخير ، قال تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .." الإسراء آية 70 .

وقد ارتبطت خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله تعالى الأرض وما فيها من نبات وحيوان وبحار وأنهار ، وما في باطنها من ثروات ومعادن وتمهيدها لينتفع بها ، إلى جانب تسخير ما في السماء من شمس وقمر ونجوم ، كل ذلك سخر لهذا الإنسان قال تعالى : " ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض ..." الحج آية 65 .

كما أكد المولى سبحانه أن كل ما في الأرض هو ملك لهذا الإنسان " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا " البقرة 29 .

وعلى الرغم من حاجتنا في المجتمعات العربية والإسلامية إلى معالجة لهذه المشكلات تنبع من واقعنا وقيمنا الأصلية التي تدعونا وتحثنا إلى المحافظة على البيئة ومصادرها المتعددة ومحاولة استخدام هذه المصادر الاستخدام الأمثل والسليم ، إلا أننا نجد أن أكثر الأنظمة والقوانين التي تحكم صلة الإنسان ببيئته في مجتمعاتنا ما زالت تستمد أصولها وقواعدها – من مصادر وأبحاث أجنبية – والباحث هنا ينبغي أن يعترف أن هذا التوجه ربما يكون في أغلبه صحيحا، لأن الدراسات والأبحاث في مجتمعاتنا عن البيئة ومشاكلها ما زال ضعيفا ومحدودا ، نتيجة لعوامل وأسباب كثيرة .

وينبغي الإشارة إلى أنه في الفترة الأخيرة بدأت بعض مظاهر الاهتمام بالبيئة ومشاكلها ومعالجة تلك المشاكل .

ولعل هذه الدراسة تسهم في إبراز القيم البيئية في الإسلام ، ومحاولة تنمية الجوانب الإيجابية وتعزيزها ، ومعالجة الجوانب السلبية الناتجة عن الاستخدام السيء للموارد الطبيعية من منظور قيمي نابع من عقيدتنا ، وهي محاولة أيضا للتأكيد على الإرتباط الوثيق بين التربية والبيئة ، لأن التربية تقدم معلومات بيئية متعددة ذات ارتباط وثيق بالمجتمع ، بل يمكن القول إن من أهم عناصر المعلومات التي تقدمها التربية ما يتعلق بقيمة إدراك الطلاب بالظواهر البيئية الموجودة حولهم ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد بدأت بعض

مظاهر الاهتمام به في مجتمعنا اليمني ، وقد ضمن في بعض المراحل الدراسية ، كما أدخل كمقرر اختياري في بعض الكليات ، كما قدم بعض المهتمين والدارسين بعض الأبحاث والرسائل العلمية في هذا المجال .

مشكلة الدراسة :

تعاني اليوم المجتمعات بشكل عام من مشاكل خطيرة ومتعددة نتيجة للاستخدام السيء لمصادر البيئة نتج عن ذلك الكثير من المشاكل الصحية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا شك أن هذه المشكلات تحتاج إلى حلول ، وبناء على ذلك فإنه من الضروري بذل جميع الجهود الفردية والجماعية ، وعلى كافة المستويات للحفاظ على البيئة ، وذلك عن طريق تعزيز وعي الناس وتنميته بأهمية المحافظة على البيئة ، وتأصيل المفاهيم والقيم البيئية في أذهان الجميع حتى يدركوا الدور المنوط بهم .

ولا شك أن التربية الإسلامية بما تتضمنه من قيم وأخلاقيات تستطيع أن تلعب دورا رئيساً وواضحاً في غرس المفاهيم الإيجابية ، ومعالجة المشكلات البيئية ، وتبصير الناس بضرورة حلها وعلاجها من منظور قيمي ، ومن هنا يمكن القول أن مشكلة الدراسة الحالية تكمن في محاولة الإجابة عن السؤال التالي:

ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به التربية الإسلامية لمعالجة الاختلالات البيئية التي نعيشها اليوم ؟

أسئلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية :

1. ما موقف التربية الإسلامية من البيئة ؟
2. كيف يمكن أن تسهم القيم الإسلامية في معالجة الاختلالات البيئية ؟
3. ما العلاقة بين البيئة والتربية ؟
4. ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في معالجة المشاكل البيئية ؟
5. ما الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفرد والمجتمع في المحافظة على البيئة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي :

1. التعرف على موقف التربية الإسلامية من البيئة .
2. إبراز دور التربية الإسلامية في المحافظة على البيئة .
3. التعرف على مدى اهتمام مناهج التربية الإسلامية بالمفاهيم البيئية .
4. التعرف على العلاقة بين التربية والبيئة .
5. إبراز دور المؤسسات التربوية في المحافظة على البيئة .

6. إبراز دور الفرد والمجتمع في المحافظة على البيئة .
7. بيان أهمية التأصيل الإسلامي للممارسات التربوية في مجال التربية البيئية.
8. محاولة الكشف عن بعض القيم التي توجب حماية البيئة والمحافظة عليها، من التلوث والاستخدام السيء للموارد الطبيعية الموجودة في الكون .

مصطلحات الدراسة :

هناك بعض المفاهيم والمصطلحات ينبغي تعريفها :

1. البيئة : هي الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه الكائنات الحية[4].
2. التربية البيئية : يقصد بها " ذلك السلوك الذي يجعل الإنسان يتصرف بحكمة ويتعامل بتعقل وتبصر مع البيئة التي يعيش فيها ، فيحسن استغلال ثرواتها ويصونها مما يتهددها من أخطارومما يواجهها من مشكلات ، ويكون قادرا على تنمية تلك الثروات وتطويرها ، بما يستهدف رفاهية الفرد والمجتمع "[5]
3. القيم البيئية الإسلامية : " مجموعة من الأحكام المعيارية المنبثقة من الأصول الإسلامية التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان مع بيئته تمكنه من تحقيق وظيفته الخلافية في الأرض"[6]
4. التربية الإسلامية ويقصد بها : "إعداد الإنسان للقيام بحق الخلافة عن الله في الأرض ، عن طريق إيصاله إلى درجة كماله التي هيأه الله لها "[7]

التربية الإسلامية والبيئة :

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وهيأ له أسباب الحياة في هذه الدنيا ، وسخر له سبل العيش ، وقدر له في الأرض ما يقيم حياته ويصونه ، وجاءت مقاصد الشريعة الإسلامية بكل صلاح ، ونهت عن كل فساد ، وأباحت كل طيب ، وحرمت كل خبيث .

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان لتحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي:

1. عبادة الله عز وجل فقال : " وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " .
2. إقامة خلافة التوحيد على الأرض " إني جاعل في الأرض خليفة " .
3. عمارة هذا الكوكب وهو موضوع دراستنا هذه فقال : " هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها .." .

ولما كان الفساد في الأرض يتناقض مع عمارتها نهى الشرع عنه وحاربه فقال سبحانه: " إن الله لا يصلح عمل المفسدين " وقال : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا

يحب الفساد .. " ومن أهم القواعد الشرعية عند علماء أصول الفقه أن الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها [8] .

وإذا تأملنا في البيئة بمدلولها الشامل لوجدنا أنها قد حظيت بقدر عظيم من الاهتمام ، وقد وردت البيئة بما تحويه من معالم وما تحفل به من أسرار وما تضمنته من مخلوقات ، فالأرض وما عليها من أنهار وبحار وأشجار وجبال وحيوان ، وما في باطنها من ثروات وخيرات . والسماء وما يزينها من نجوم وشمس وقمر كل ذلك ورد في (199) آية من كتاب الله ، ويكفي هذا على مدى اهتمام الإسلام بالبيئة ومصادرها ومكوناتها وهنا يمكن أن يبرز التساؤل الآتي :

ما الأدلة من القرآن والسنة التي توجب الحفاظ على البيئة ؟ وهنا يمكن ذكر بعض الأدلة في هذا المعنى :

1. قال تعالى : " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين" الأعراف الآية 85.
2. وقال سبحانه : " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " الأعراف الآية 74 .
3. وقال عز وجل : " ولا تبغ الفساد في الأرض إنه لا يحب المفسدين " القصص الآية 77 .
4. وقال سبحانه محذراً ومبيناً صورة المفسدين : " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " البقرة آية 205 . والفساد هو كل ما يخرج الشيء عن ماهيته التي خلق عليها ومن أجلها ، أو يتلف مكوناتها ويحوله من مادة أو عنصر نافع إلى مادة ضارة أو لا فائدة منها ولا طائل تحتها .
5. كما دعا عليه الصلاة والسلام المجتمع بأسره أن يتعاون من أجل الأخذ بأيدي المفسدين وإصلاحهم فقال عليه السلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ." رواه البخاري ومسلم .
6. وقال صلى الله عليه وسلم : " لا ضرر ولا ضرار ." .
7. وقال عليه الصلاة والسلام : " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " رواه البخاري ومسلم .

ففي هذا الحديث دعوة إلى إبعاد الأذى عن الناس وقد جعل عليه السلام هذا الدفع جزء من الإيمان . فما بالنا بمن فعل أكثر من ذلك .

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام نهى عن الفساد بكل صوره وأشكاله سواء أكان هذا الفساد في المجال العقدي أم الأخلاقي أم البيئي ، وكل ما هو ضار على وجه هذا الكوكب وقد اهتم الإسلام بالمحافظة على جميع مكونات البيئة التي يمكن ذكرها بإيجاز فيما يأتي :[9].

1ـ المحافظة على إنسانية الإنسان وسلامته ، بوصفه محور البيئة :

حرص الإسلام على تكريم الإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات ، كما بين ذلك القرآن في تأكيده أفضلية الإنسان على بقية المخلوقات فقال تعالى : " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " لذلك حرصت الشريعة على حمايته من الوقوع في مواطن الزلل أو أن تشوه صورته التي احسن المولى تقويمها وأبدع تكوينها في هذا الشكل العظيم البديع ولذلك حرم قتل الإنسان ، لأن القتل هو إزهاق الأرواح ونقض للحياة ، فهذه الجريمة هي عين الفساد في الأرض لأن ذلك بث للرعب وترويع للآمنين وتبشيع لصورة الإنسان التي أحسن الله خلقها ، ولذلك شدد المولى على حرمة القتل وعَدَّ ذلك من أكبر الكبائر بعد الشـــرك بالله قـــال تعالى : "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون" الأنعام آيه 151.

بل إن المولى جعل جريمة الاعتداء والتسبب في قتل نفس واحدة بمثابة الإعتداء المتعمد على حق الإنسانية جميعا إذ قال تعالى : " من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا " المائدة آية 32 .

كما حرَّم الإسلام الاعتداء على الإنسان بأي شكل من الأشكال سواء كان ذلك بالضرب أم السب ، وأعطى له إنسانيته كاملة كما دعا الإسلام إلى المحافظة على صحة الإنسان وسلامته من كافة الأمراض ، وهذا بالطبع لن يحصل إلا على أساس من نقاء البيئة وصفائها وطهارتها وخلوها من الملوثات ، حتى يستطيع الإنسان أن يتمتع بالصحة الجسمية والعقلية والنفسية الجيدة ، ولا تكمن أهمية البيئة فقط في تعرض حياة الإنسان للأمراض والموت ، بل إن البيئة هي التي توفر له الهواء النقي ، والمياه الصالحة ، وتمده بأنواع الأطعمة المختلفة .

ولذا يؤكد الكثير من المهتمين أنه لم يعد واجب الإنسان أن يحافظ فقط على سلامة البيئة من التخريب والتدمير والاستنزاف ، وإنما بات من المؤكد أن عليه أن يعمد إلى تحسين البيئة وتجميلها وحسن استغلالها واستثمارها بصورة مناسبة [10] ، بحيث يستخرج منها– الإنسان– كل ما يعود عليه وعلى الأمة بالخير والنفع ، وهذا العمل يعدّ من المهام الرئيسية التي وكل بها الإنسان لكي يقوم بواجب الخلافة عن الله لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها ، وهذا يعني أن الله لَمّا خلق الإنسان أهّله بمؤهلات الخلافة التي تجعله يستعمر الأرض بالأعمال الصالحة باستغلال طاقاتها وخيراتها وأقواتها وترقيتها بالإبداع المادي في ظل منهج الله وفي حدوده .

2ـ المحافظة على تعمير الأرض وعدم الإفساد فيها :

مـــن الملاحظ أن الله سخر للإنسان وأوجد له على الأرض الكثير من الكائنات الحية وغير الحية ، واســـتخلفه في الأرض من أجل إصلاحها وتعميرها بما يتواءم مع ما شرعه الله " وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض " سورة فاطر الآية 39 .

وقال عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى " الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها " .

هنا نجد أن معنى استخلاف الإنسان على الأرض هو قيامه بإدارتها وإعمارها والإفادة من خيراتها بأمانة وحرص حتى تظل الأرض قادرة على العطاء ، لأن استغلالها بطريقة التخريب أو النهب لثرواتها يعني إهلاكها وفسادها، وعدم قدرتها على الاستمرار للأجيال التالية ، لأن الإسلام ينظر إلى البيئة على أنها حق للجميع ، فكل إنسان في هذا الكوكب واجب عليه أن يغار عليها ، من اعتداءات الآخرين ، ويقول سبحانه حول هذا المعني " وهو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " سورة هود الآية 61. والاستعمار هنا المقصود به طلب التعمير والتنمية والاستثمار الأمثل لمكنونات الطبيعة واستخراج خيراتها ليعم الخير ، وتنتشر الرفاهية . يتضح لنا مما سبق أن المولى سبحانه سخر كل ما في الكون للإنسان حتى يستطيع أن يحيا حياة راقية آمنة ، ولذا سخر له الأرض وما فيها من نعم ظاهرة وباطنة وسخر له البحار والأنهار والرياح وكافة المخلوقات ، وإذا تأملنا في كل ما سخره المولى لهذا الإنسان ، فسنراه ما هو إلا مكونات البيئة التي يجب الحفاظ عليها لتظفر البشرية بحياة طيبة ، وبالمقابل نجد أن المولى لم يترك هذا الإنسان يعبث في البيئة كما يشاء بل وضع لذلك حدوداً وضوابط تتمثل بأن على الإنسان الانتفاع بها من دون إتلافها بوجه غير مشروع ، وبما أن الإنسان مستخلف في إدارة الأرض والإفادة منها فهو أمين عليها ، ويجب أن يتصرف فيها تصرف المؤتمن على أمانته فهو يتصرف في حدود الأمانة التي يتحملها[11].

3ـ المحافظة على سلامة المياه :

لا شك أن المياه عصب الحياة ، لكل المخلوقات الحية مصداقا لقوله تعالى: " وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون " سورة الأنبياء الآية 30 . ومن أجل المحافظة على الماء حذر ونهى عليه السلام من إلقاء المخلفات والقاذورات فيه لأنه أساس الحياة ومصدر كل شيء فجاءت أوامره عليه السلام ناهية ومحذرة أن يبول الإنسان في الماء الراكد فقال " لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه " كما حذر من التبول في الماء الجاري وأماكن الظل ، بوصفها أماكن لراحة الإنسان ، وكذا في الطريق العام فقال عليه السلام " اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء وفي الظل ، وفي طريق الناس " .

ومن هنا نجد حرص الإسلام على طهارة البيئة ونظافتها من كل المخلفات التي قد تسبب الأوبئة والأمراض .

ومما يلاحظ أيضا أن معظم الآيات التي ورد فيها ذكر للماء في القرآن يكون ذلك مرتبطا بالأرض ، وهي إما ميتة أو خاشعة أو هامدة فينزل الماء فتهتز وتربو وتُنبت من كل زوج بهيج . وإجمالا يعد الماء أساس الحياة ، ولذا فقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادتها ، وهي وحدة البناء في تركيب الكائن الحي نباتاً كان أم حيواناً . كما أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء فهو (الماء) إما وسط ، أو عامل مساعد أو

داخل في التفاعل ، أو ناتج عنه [12]. لذا يبقى التأكيد على أن من واجب الإنسان أن يحافظ على هذه النعمة ، وذلك من خلال ترشيد استهلاكه للماء سواء كان في منزله أم خارج منزله ، بل من واجبه أيضا دعوة الآخرين وإرشادهم إلى أن يسلكوا هذا السلوك نفسه المتمثل في المحافظة على الماء ومصادره حتى تستمر الحياة ، وتبقى البيئة نظيفة طاهرة .

4. المحافظة على الكائنات النباتية والحيوانية :

تحدث القرآن الكريم عن الحيوان بشكل واسع وحفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث التي تبين طريقة المحافظة على الحيوان والرفق به ، ذلك لأنها كما وصفها المولى " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم.." سورة الأنعام الآية 36 .

وبلغت عناية القرآن واهتمامه بها أن سمى سوراً بأسماء بعض الحيوانات مثل سورة البقرة ، الأنعام ، النمل ، الفيل ، وغير ذلك، وقد حذرنا الرسول عليه السلام من القسوة على الحيوان فقال في الحديث المشهور " عذبت امرأة في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " رواه البخاري ومسلم .

فهنا نرى رحمة الإسلام ورفقه بالحيوان ، وهذه الممارسة سبقت كل الادعاءات الكاذبة التي تدعيها اليوم بعض المجتمعات ، وتقول أنها سنت تشريعات وقوانين للرفق بالحيوان ، في حين هي تساعد على ذبح الإنسان . إن النصوص التي تؤكد الرفق بالحيوان في التشريع الإسلامي كثيرة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة المختصرة .

أما ما يتعلق بالثروة النباتية فإن القرآن والسنة قد بينا أهمية ذلك من خلال إبراز صفات وملامح تلك النباتات ، وعلاقة الإنسان والحيوان بها . كما نرى بعضها مادة خصبة في القرآن الكريم لضرب الأمثال وإحياء الموتى ، بل أمر الإنسان بالتفكر في أنواع النباتات ، وبيان أنه سبحانه وحده القادر على الإنبات ، وهو القادر على تحطيم تلك الزروع عقابا للمخالفين عن أمره قال تعالى : "أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلنه حطاما فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون ." سورة الواقعة الآيات 63-67 .

وهناك الكثير من الآيات والنصوص التي لا يسع الوقت لذكرها[13] وما اهتمام الإسلام بالأحياء النباتية إلا لأنه يدرك ان لها دوراً كبيراً في المحافظة على تناسب مكونات الطبيعة والمحافظة على اتزانها واستمرار الحياة عليها ، وإذا كان البعض يدعي أنه حريص على الأحياء النباتية وزراعتها والاستزادة منها حتى تتم المحافظة على البيئة وجمالها ، فإن ديننا الإسلامي سبق هذه الدعوات التي جاءت متأخرة ففي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة " .

بل حرص الإسلام أشد الحرص على الزراعة وزيادة المساحة الخضراء حتى في أشد وأصعب الظروف والإنسان ينتظر الموت وفي هذا يقول عليه السلام " إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها في الأرض فليغرسها " رواه أحمد.

ومن هنا يمكن القول أن الإسلام حين حرص على المحافظة على جميع مصادر البيئة ومظاهرها . إنما كان يهدف في أحد أهدافه من ذلك إلى المحافظة على جمال الطبيعة وبقاء مناظرها الخلابة وصيانتها من عبث العابثين ، وطلب منا سبحانه أن نتدبر في هذا الجمال وما وراءه ، لنستشعر بذلك عظمة الخالق وقدرته على الإبداع ، ولذا دعانا إلى إمعان النظر في آياته الكونية إذ يقول "أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد .رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج " سورة ق الآيات من 6-10 .

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكر والنظر في مباهج الكون وجماله ، بل إن الله عز وجل جميل يحب الجمال ، ويأمرنا أن نحرص عليه ونحافظ عليه من أيدي العابثين والمفسدين حتى تستمر الحياة بصورها الجميلة والبديعة . كما وجه أحاسيسنا ومشاعرنا تجاه البيئة لننظر إليها نظرة شمول وعموم ، وليكتشف الإنسان دقة وتناسق أبعادها وأجزائها ، وما فيها من نعم وفيرة مزدحمة في الأرض ، من أنهار جارية وأشجار مثمرة ، وزروع نظرة ، وجبال شامخة وبحار واسعة ، قال تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " سورة يونس 101 .

وقوله : " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت " الغاشية 17-20 . وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى .

- كيف يمكن أن تسهم القيم الإسلامية في معالجة الاختلافات البيئية

تعد القيم الإسلامية قوة ضابطة وقادرة على ردع اتباعها ، عن العبث بأي مظهر من مظاهر الحياة المختلفة ، وذلك لأنها تجعل الإنسان المسلم يراقب الله عز وجل في السر والعلن، لأنه يدرك أن هناك قوة أعظم منه تراقبه وترصد عليه أفعاله الحسنة والسيئة ، وهذا يعني أن الضمير هو الذي يتحكم بجميع تصرفاته ، ولذا نلاحظ أن الإسلام حرم جميع أنواع الأذى على الغير ، فحرم قتل أي كائن من دون مسوغ أو حق شرعي ، وحرم الأعمال التخريبية (لا ضرر ولا ضرار) وأمر بالنظافة والتطهر ، وحرم تلويث المياه العامة ، وحرم استعمال السموم أو المبيدات الضارة ، كما منع استخدام الحيوانات في ما لا تطيق القيام به ، كما يمنع قطع الأشجار إلا في الحالات الضرورية [14] .

وهذه أمانة وكل بها الإنسان ، لأنه المخلوق القادر على التصرف في هذه القضايا إما سلبا أو إيجابا ، وذلك لأنه هو المخلوق الوحيد المزود بالعلم والإرادة والقدرة على التحليل والقياس والتعليل والقبول والرفض ، أما بقية المخلوقات فإن لها خصائص معينة ومحدودة في إطار معين . وحتى لا يستغل الإنسان هذا التفضيل والتكريم في الإساءة للبيئة وإلى التباهي والتفاخر بقدرته وعلمه وإدراكه في السيطرة على المخلوقات الأخرى بالأذى والعنف والإهلاك ، من أجل ذلك نظم الإسلام العلاقة بين الإنسان وعناصر البيئة ، ووضع لذلك نظاما قيميا يساعده في التعايش السلمي مع بيئته ، ويعمل على ضبط سلوكه ليوجهه نحو العمل المثمر الصالح النافع وليحقق عن طريقه هدف وجوده على الأرض ، وهذه القيم التي يلتزم بها المسلم هي قيم ربانية مصدرها الخالق الذي يعلم أسرار هذا الكون وما يصلحه وما يفسده وبناء على ذلك يمكن تعريف القيم البيئية الإسلامية بما يأتي: هي مجموعة من الأحكام المعيارية المنبثقة عن الأصول الإسلامية ، التي تكون بمثابة موجهات لسلوك الإنسان تجاه البيئة ، تمكنه من تحقيق وظيفة الخلافة في الأرض ، ومن هنا يمكن تقسيم القيم البيئية في الإسلام إلى أربعة أقسام هي باختصار كالآتي :[15]

1) قيم المحافظة :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكونات البيئة وتشمل ما يأتي :

- المحافظة على نقاوة الغلاف الجوي .
- المحافظة على نظافة الثروة المائية .
- المحافظة على رعاية الثروة النباتية .
- المحافظة على رعاية الثروة الحيوانية .
- المحافظة على استخدام الثروات المعدنية .
- المحافظة على نظافة الطرقات والأماكن العامة .
- المحافظة على نظافة بيوت الله .
- المحافظة على نظافة المساكن الخاصة .
- المحافظة على الصحة البدنية .
- المحافظة على الهدوء وتوفيره .

2) قيم الاستغلال :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد لمكونات البيئة ، فلقد أباح الإسلام للمسلم التمتع بموارد الطبيعة من غير إسراف ولا تبذير ، لكيلا تنعكس الأضرار الجسمية عليه وعلى مجتمعه ، المترتبة على سوء تصرفه فالإسراف يؤدي إلى الترف ، والترف طريق الفساد كما أوضح ذلك القرآن الكريم في العديد من الآيات [16]، والعقل وحده لا يكفي زاجرا عن الإسراف، لأن

الإنسان يخضع لعدة عوامل ، أحدها العقل ، فلا بد من ضابط آخر يوجه هذا العقل ويرشده إلى الصواب والخطأ ، وهذا الضابط بالنسبة للمسلم هو القيم الإسلامية النابعة من صميم دينه وعقيدته .

3) قيم التكيف والاعتقاد :

وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيف مع بيئتهم ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها وتشمل الآتي :

- التكيف مع التغيرات الطبيعية [17].
- الابتعاد عن المعتقدات الخرافية [18].
- التكيف مع القيم الجمالية [19].

ومن هنا ندرك أن الإسلام بأحكامه التشريعية القويمة قد وضع القواعد والأسس المطلوبة للتعامل مع مختلف جوانب الحياة، والصالحة لكل زمان ومكان ومنها القاعدة الأساسية التي تنهى عن جميع الاستخدامات الضارة ، بما في ذلك الاستخدامات البيئية السيئة التي تعرض حياة البشر للخطر .

العلاقة بين التربية والبيئة :

وهنا يبرز التساؤل التالي : ما العلاقة بين التربية والبيئة ؟

وهنا يمكن القول أن هناك علاقة وثيقة بين التربية والبيئة وهذه العلاقة ليست جديدة بل هي قديمة جداً ، فالتربية تقدم معلومات بيئية متعددة ذات ارتباط وثيق بالمجتمع وكما يقول أحد الباحثين في هذا الصدد " ويمكن القول أن من أهم عناصر المعلومات التي تقدمها التربية ، ما يتعلق بتنمية إدراك الطلاب بالظواهر البيئية الموجودة حولهم ، فالتربية لم تقم أصلا إلا لتدريس وتعليم ما هو موجود في البيئة التي نعيش فيها وطرق الاستفادة من مدخراتها وكنوزها ، وكيفية تعامل الطالب مع البيئة التي يعيش فيها" [20].

ونظرا للتلازم الوثيق بين التربية والبيئة ، ظهرت الدعوة إلى الأخذ بالمدخل البيئي أو التربية البيئية التي تأخذ فيها البيئة وضعا جديداً بوصفها وسيلة وغاية ، فالبيئة تعد مصدراً مهماً لإثراء العملية التربوية . وفي الوقت نفسه ، فإن التربية تهدف إلى المحافظة على البيئة ورفع مستواها وتطويرها .

وقد توصل أحد الباحثين إلى تعريف شامل لمفهوم التربية البيئية فقال بأنها " عملية تقويم القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقة المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيقي وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة ورفع مستويات معيشته " [21].

ومن خلال هذا التعريف ندرك أهمية التوعية بمشكلات البيئة ومحاولة التغلب عليها من خلال توعية أفراد المجتمع بمضار البيئة ومخاطرها وذلك عن طريق وسائط التربية المختلفة وبواسطة المقررات

الدراسية ، والندوات والمؤتمرات العلمية . وفي هذا السياق عقدت العديد من المؤتمرات والندوات العلمية التي رعتها منظمة اليونسكو بغرض تدعيم مفهوم التربية البيئية ، وجاء المؤتمر الثاني الذي عقدته المنظمة في مدينة (روشيلكون بسويسرا) ليحدد – بدقة أكبر – المفاهيم الخاصة بوقاية البيئة وحمايتها من التصرفات غير المسؤولة من بعض الأفراد بواسطة التربية البيئية . وقد كان موضوع المؤتمر يدور حول "التربية البيئية في المناهج الدراسية وكيفية إدخال المفاهيم البيئية في المواد الدراسية " [22] .

ومن هنا يمكن القول أنه لا بد للتربية البيئية من أهداف وغايات تسعى من خلالها إلى تطوير للمعرفة العلمية ، وتتلخص هذه الغايات كما يذكر ذلك أحد الباحثين [23] نقلا عن منظمة (اليونسكو 1989م) في النقاط الآتية :

- حث الطلبة على معرفة المشكلات البيئية وفهم أسبابها وسبل الوقاية منها .
- إيجاد الفهم حول العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته .
- إثارة الوعي والاهتمام بالبيئة ومشكلاتها الراهنة والماضية .
- إكتساب المواقف والقيم المناسبة والشعور بالمسؤولية إزاء صون البيئة .
- إظهار الاستخدام الفعال والاقتصادي للمصادر الطبيعية .
- تمكين الدارسين من اتخاذ قراراتهم الخاصة بأسلوب ملائم ومنطقي عند حل المشكلات البيئية .
- تمكين الدارسين من الإفادة من معارفهم بشأن البيئة في خلق وتحسين مستوى المعيشة على مستوى الفرد والمجتمع .

وفي ضوء ذلك يؤكد أحد الباحثين فيقول : (إنه لا ينبغي أن يكون اختيار المحتوى مجرد تجميع لمواد لا يربط بينها رابط وإنما يجب أن يتم انتقاء المحتوى وفق تفضيلات قيمية تؤدي إلى الاستيعاب الواعي للحقائق والمفاهيم والعلاقات المتصلة بالبيئة الطبيعية والجغرافية والسكانية والاجتماعية ، والثقافية محلياً وإقليمياً وعالمياً ، واستخدامها بفاعلية في الحياة العامة بهدف الوصول إلى حل المشكلات البيئية التي تهدد استقرار الحياة على الأرض " [24] .

وقبل الانتهاء من الحديث عن العلاقة بين التربية والبيئة ، ينبغي الإشارة إلى طبيعة العلاقة القائمة بينهما في مناهج ومؤسسات التعليم في الجمهورية اليمنية.

لقد اهتمت الجمهورية اليمنية بالبيئة وشؤونها ومن أجل ذلك صدر قرار جمهوري سنة 1990م بإنشاء مجلس حماية البيئة – حاليا وزارة السياحة والبيئة تكون مهمته اقتراح السياسة العامة لحماية البيئة ووضع المعايير الكفيلة بحماية البيئة من التلوث ، وحماية الثروة الحيوانية والنباتية والأحياء البحرية من الاستزاف وحماية الأراضي من التصحر ، وإعداد مشروعات القوانين لحماية البيئة ومتابعة تنفيذها[25].

وفي هذا المجلس تم إنشاء إدارة مهمتها الاهتمام بالإعلام والتربية البيئية والتركيز على التربية البيئية في التعليم العام والتعليم الجامعي .

ومن هذا المنطلق حظي التعليم البيئي في اليمن باهتمام واضح من لدن الجهات الرسمية المختلفة ، إذ اتجهت وزارة التربية والتعليم وبالتعاون مع جهات محلية وعالمية، وفي هذا الصدد تم التنسيق بين مركز البحوث والتطوير التربوي ومجلس حماية البيئة ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف حيث تم إنجاز العديد من الوثائق في التربية البيئية والصحية أهمها وثيقة المناهج ، كما تم في هذا الجانب ظهور المشروع اليمني الألماني للتربية البيئية والصحية[26] ، كما تم إدخال مقرر خاص للتربية البيئية في معاهد المعلمين والمعلمات نظام السنتين بعد الثانوية العامة ، كما اعتمدت بعض الجامعات اليمنية مادة للتربية البيئية تدرس لطلاب تلك الجامعات[27] .

ولا شك أن هذه الجهود المبذولة جاءت نابعة من إحساس الجميع بأن اليمن كغيرها من الدول تعاني من العديد من المشكلات البيئية والصحية ولذا فهي تحاول إيجاد المخارج للتخفيف من هذه المشاكل ، ولعل أحد أبرز ذلك هو إقرار التربية البيئية والصحية في المناهج الدراسية حتى يكون الجيل على وعي كامل بمخاطر وأضرار البيئة إذا لم يتم استخدامها الاستخدام الأمثل .

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول إن الاهتمام بالتربية البيئية يعود إلى كونها تهدف إلى "إعداد الإنسان للحياة من خلال المناهج والمقررات الدراسية لأن يكون عنصرا ناجحاً متفاعلا مع بيئته المحيطة ، كما أنها تعني تنمية المهارات التي تمكن المتعلمين من المساهمة في حل الأخطار التي قد تواجه البيئة مثل أخطار التلوث والتصحر والتدهور البيئي في المدرجات الجبلية وانزلاق التربة وتلوث البحار والشواطئ والأنهار"[28] .

أما السؤال الرابع الذي نصه :

ما الدور الذي ينبغي أن تقوم به المؤسسات التربوية في معالجة المشاكل البيئية ؟

فقد تمت الإجابة عليه من خلال الآتي :

التربية بمفهومها الواسع والشامل هي : العملية التي يشترك في أحداثها وتفاعلاتها معظم مؤسسات المجتمع التي تحمل على كاهلها مسؤولية بناء الفرد وتشكيله ، كما أنها هي العملية التي تبذل لإحداث تغيير مطلوب ومرغوب في سلوك الفرد وسلوك المجتمع ككل[29] .

ومن هنا نجد أن هناك مؤسسات تربوية متعددة يتلقى فيها الأفراد مختلف العلوم والمعارف والخبرات وفي هذا المبحث سوف يتم التعرف وباختصار على بعض هذه المؤسسات ، ومعرفة دورها في حماية البيئة :

1ـ المنزل :

هو البيئة الأولى التي ينشأ فيها الفرد ، وفيها يتعلم ويقتبس الكثير من العادات والقيم والمعتقدات .

وما من فترة في حياة الفرد لها أثرها الكبير والواضح في صياغة شخصيته مثل فترة الطفولة ، لأن الطفل في مراحله الأولى يكون أكثر قابلية للتشكيل بفعل مرونة جهازه العصبي في هذه الفترة وبفعل سرعته للتقليد ، والبيت صورة مصغرة للعالم الخارجي ، فإذا تعلم الفرد معنى القيم الإيجابية التي تجعله شخصا محباً للخير ومتعاوناً مع مجتمعه في ذلك، لا شك أنه إذا تربى على هذا السلوك سوف يكوّن حصيلة معرفية بيئية تؤهله لأن يكون نموذجا صالحا يحافظ على البيئة ومصادرها ويتعامل معها بإيجابية ، وهذا لا يمكن أن يتم دون توعية حقيقية من الوالدين وبقية أفراد المنزل في توجيه أبنائهم نحو العادات البيئية السليمة كالنظافة العامة والخاصة ، وغير ذلك من السلوكيات الحميدة .

2ـ المدرسة :

تعرف المدرسة في المفهوم الحديث بأنها " المؤسسة التي تقوم على نظام واع لتحقيق أهداف تربوية محددة ومقصودة "[30] .

وتعد المدرسة وسيلة مهمة في مجال تربية الأفراد ورفع مستوى الوعي لديهم ، كما أنها تسعى إلى تهذيب الأفراد وإصلاح ما قد يعجز عنه المنزل فالمدرسة وسط بين البيت والحياة . ومن المتوقع أن يتعلم الفرد في المدرسة معنى القيم البيئية وكيفية المحافظة على عناصرها ومكوناتها .

ومن أجل غرس الوعي البيئي في نفوس التلاميذ[31] فإنه من واجب المدرسة والمعلم أن يقوموا بالآتي :

- التمسك بالعقيدة ، وحسن السيرة والسلوك .
- الوعي بالقيم البيئية الإسلامية .
- الوعي بمفهوم البيئة وبالمشكلات البيئية الحديثة والمستقبلية .
- استخدام أساليب متنوعة في توجيه وإرشاد التلاميذ في الموضوعات البيئية المختلفة .
- الشعور الدائم بأن المعلم مصدر التقليد والاتباع من قبل المتعلمين .

ولا يمكن أن يتصف المعلم بهذه الصفات إلا إذا تم إعداده وتأهيله بطريقة مناسبة تؤهله لأن يقوم بهذا الجهد .

وينبغي أن نشير هنا إلى دور مادة التربية الإسلامية المقررة في المدارس في حماية البيئة والمحافظة عليها وتنمية القيم الإسلامية الواردة في هذا المجال وذلك من خلال ذكر الآيات القرآنية والأحاديث

النبوية[32] والأقوال المأثورة الواردة بهذا الخصوص ، حتى يتم ربط هذه المادة بواقع وحياة الطالب إلى جانب أن تأثيرها يكون أكثر من بقية المواد الأخرى ، إذا استطاع المعلم أن يحسن طريقة العرض .

3ـ المسجد :

يعد المسجد مؤسسة تربوية وغاية في الأهمية لبناء شخصية الفرد بناءً متكاملاً ومتوازناً وقد قام المسجد بهذه المهمة منذ بداية قيام الدعوة الإسلامية فكان مكاناً للعبادة والتعليم والتوجيه ، ولأهمية المسجد كان أول عمل قام به الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، هو قيامه ببناء المسجد النبوي ، وقد فرض المولى سبحانه على عباده أداء أهم عبادة في المسجد وهي، الصلاة التي ينبغي أن يؤديها المسلم في اليوم خمس مرات، ويمكن الإفادة من هذا المكان في توعية وتوجيه الناس بمخاطر وأضرار البيئة، وذلك من خلال الخطب والمحاضرات والدروس التي تلقى في المساجد، وهذا يقتضي أولا أن يدرك أئمة المساجد دورهم في توعية الناس ، وأن يكون لديهم الوعي الكامل والكافي بأضرار ومخاطر البيئة حتى ينقلوا ما لديهم إلى الآخرين .

4ـ وسائل الإعلام :

تعد وسائل الإعلام مؤسسات تربوية مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات لأنها تغطي قطاعات عريضة من الأفراد يصعب أن تغطيها برامج التعليم النظامي، كما أنها تشمل مواداً متنوعة من الثقافة والتوجيه والرعاية في مختلف مجالات الحياة، فضلا عن أنها تتميز بالاستمرار وتراكم التأثير ، إذ يبدأ اتصال الفرد بها منذ طفولته ويمتد إلى شيخوخته[33] .

ووسائل الإعلام تشمل الإذاعة ، التلفزيون ، الصحافة ، الكتاب ، المكتبات العامة .

ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام لها تأثيرها في الأفراد والمجتمعات بشكل كبير وواضح ، وأصبحت اليوم في متناول الجميع لذا ينبغي أن تقوم بدورها في توعية الناس بمخاطر وأضرار البيئة من خلال الآتي :

1. توعية أفراد المجتمع بضرورة التقيد بالقيم البيئية التي يدعو الإسلام إلى الالتزام بها.
2. بيان مخاطر البيئة وأضرارها على الفرد والمجتمع .
3. تخصيص برامج وندوات خاصة عن البيئة يشارك فيها عدد من المختصين .
4. على الصحافة بالذات أن تخصص صفحات خاصة وتعد الملصقات والشعارات من أجل إبراز القضايا البيئية ، وكيفية المحافظة عليها .
5. تشجيع الأفراد على المشاركة بالقول أو الفعل من أجل تقديم كل ما يخدم البيئة.
6. إعداد الأبحاث والدراسات الفردية والجماعية وتشجيعها لبيان الطرق المناسبة للمحافظة على البيئة من المخاطر التي قد تهددها .

5ـ الجمعيات الرسمية وغير الرسمية المختصة بحماية البيئة :

تعد الجمعيات المختصة بحماية البيئة سواء كانت حكومية أم أهلية من المؤسسات التربوية المهمة ، والتي بدأت تظهر في الفترة الأخيرة وبشكل واضح وهدفها الإسهام في المحافظة على البيئة من الأضرار التي قد تواجهها نتيجة للاستخدام السيء من قبل بعض الأفراد ، ولا شك أن تشكيل تلك الجمعيات يتفق مع مبادئ الإسلام وهو من باب قوله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون " سورة آل عمران آية 104 . وقوله تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .. " سورة المائدة الآية 2 . وهذا يتفق أيضا مع قوله عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

ومن هنا ينبغي القول إن على هذه الجمعيات أن تقوم بدورها في توعية الناس بالطرق المناسبة للتعامل مع جميع مصادر البيئة ، وبيان الأضرار والمخاطر التي تعود على الجميع من الاستخدام السيء لأي مصدر من مصادر البيئة . ومن المتوقع أن يكون أداء هذه الجمعيات أفضل من أداء الجهات الأخرى، كونها قريبة من الناس وتعرف ما هي المشاكل الملحة وتعمل على معالجتها من خلال العرض السابق لوسائط التربية المختلفة يمكن القول أنه لا بد من التنسيق والتعاون بين جميع الجهات حتى يتم إعداد أفراد صالحين يتعاونون لما فيه خدمة أوطانهم ومجتمعاتهم ، وهذا يعني أن هذه الجهات لا بد أن تسعى إلى تنمية القيم البيئية التي دعا وحث عليها الإسلام .

ما الدور الذي ينبغي أن يقوم به الفرد والمجتمع من أجل المحافظة على البيئة ؟

سبق القول أن الإنسان أحد مظاهر البيئة الهامة والمؤثرة في هذا الكون ، وأن الخالق عز وجل قد اختصه بخصائص وصفات تميزه عن غيره من الكائنات، ولكن يا ترى ما الدور المنوط به للحفاظ على البيئة ، واستغلالها بطريقة مناسبة ؟ هذا السؤال سوف يتم الإجابة عليه فيما يلي :

إن المتتبع للنصوص الشرعية يتأكد له أنها تدعو وتحث على تحسين العلاقة بين الإنسان والبيئة ، وأنه سبحانه قد تكفل بوضع منهج متكامل ينظم تلك العلاقة على أساس من الترابط والتجاوب والتعاون ، وبالتالي اعتمد في تطبيقها والالتزام بها على درجة إيمان الفرد فإذا كانت درجة إيمانه قوية أدى هذا إلى التزامه بالمحافظة على البيئة ومصادرها، ولذا لم يكن غريبا أن يشعر الإنسان حين يصحو ضميره أن البيئة إن هي إلا (الرحم) التي يتربى فيها ويترعرع، وهي (الحضانة) التي نرى من خلالها الحياة النقية ، وهي (الأم الحنون) التي تحتضن الجميع بلا تمييز بين غني وفقير أو صغير وكبير ، فالكل له حق الإفادة من البيئة ومصادرها[34] .

وللضمير أهمية بالغة في توجيه سلوك صاحبه نحو الخير والنفع العام . والعمل الصالح في كل مجالات الحياة ، وليس حيال البيئة وحدها .

وإجمالا يمكن القول إن الإنسان لكي يحافظ على البيئة فعليه عدة واجبات عليه أن يدركها ولعل أهمها ما يأتي :

1. أن يدرك الإنسان أنه هو المسؤول الأول عن البيئة ، وهو المستفيد منها ، وهو مصدر تلوثها أيضا . لذا فهو الهدف من إصلاح البيئة وجمالها وثرائها وغناها ، ولا مفر من ضرورة تنمية ضميره البيئي كي يشعر بالبيئة وبقيمتها وبأثرها فيه وفي غيره .
2. على الإنسان أن يحب بيئته ويحرص على سلامتها ونظافتها وطهارتها وخلوها من الملوثات والنفايات والأقذار والأوساخ . فالإنسان جزء من البيئة ، ومكون رئيسي من مكوناتها ، وهو مخلوق من عناصرها ، أي أن صفته من تراب قال تعالى : " والله خلقكم من تراب ثم من نطفة " سورة فاطر آية 11. "لذا فالكون ليس عدوا للحياة ، ولا عدوا للإنسان وليست الطبيعة خصما للإنسان يصارعها ويغالبها إنما هي خلق من خلق الله ، وهي صديق لا تختلف اتجاهاته عن اتجاه الحياة والإنسان."[35] .
3. على الفرد أن يدرك أن البيئة للجميع[36] وعليه أن يدرك أن موارد البيئة من أكبر نعم الله على بني البشر ، وأن الله قد أعطانا جميعا حق الانتفاع بها ، فلا يحق لجماعة أو دولة أو طائفة الاستئثار بها دون بقية الناس .
4. الإنسان وصي على البيئة لا مالك لها، إن الإنسان خليفة الله في أرضه ، ووصي البيئة وليس مالكا لها، فعليه أن يأخذ منها بقدر حاجته .
5. على الإنسان أن يؤدي حق هذه النعمة وذلك بشكرها والمحافظة عليها وبإعطاء حق الله للمحتاجين ، فشكر النعمة عامل هام من عوامل استدامتها.قال تعالى : " لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد " سورة إبراهيم الآية 7 .
6. أمانة الحفاظ على البيئة جزء من عقيدة المسلم : إن المحافظة على مصادر البيئة وعناصرها جزءاً لا يتجزأ من عقيدة المسلم قال عليه الصلاة والسلام: " الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " رواه البخاري ومسلم .

   وكذا حديث " لا ضرر ولا ضرار " .
7. على الإنسان أن يدرك أن العلاقة بينه وبين البيئة علاقة تسخير واستثمار ، ويقصد بهذه العلاقة تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية تنفيذا لرسالته في الحياة .
8. على الإنسان أن يدرك أنه مزود بقدرات وإمكانات تمكنه من الإفادة القصوى من البيئة ومصادرها فقد خصه الله بالعقل والقدرة على العلم والتعلم " فالإنسان مخلوق ذو رسالة ، هي الاستخلاف ،

حيث استخلف الله الإنسان في الأرض ، وسخر له ما فيها وزوده بالمواهب التي تعينه على الخلافة وتيسر له طيبات الحياة كلها "[37] .

9. على الإنسان أن يدرك أن الحوادث التي تحدث في هذا الكون كما صورها القرآن الكريم ، تسير وفق نظام دقيق محكم في تفاعلها وتأثيرها المتبادل ، وهذا النظام المتقن البديع يجعل الأرض موطنا مناسبا للحياة .

10. على الإنسان المسلم أن يدرك أن الإسلام غني وحافل ببرامج الإصلاح البيئي . وأنه من واجبات الإنسان المسلم أيا كان موقعه أن يبحث عن الحلول العلمية لقضايانا ومشكلاتنا البيئية وأن عليه أن يلجأ إلى دينه وعقيدته ولا شك أنه سيجد المؤشرات الصحيحة والعلمية التي تعينه على المحافظة على البيئة والإفادة منها .

11. على الإنسان المسلم أن يدرك أنه لا مانع من أن يفيد من تجارب وأبحاث الآخرين، خاصة أننا ندرك أنهم سبقونا في هذا الميدان فلديهم الكثير من الخبرات والعلوم والمعارف في هذا المجال فعلينا أن نوظف ما لديهم طبقا لحاجتنا ومطالبنا.

12. على المسلم أن يدرك أن الإسلام لم يعالج كل القضايا البيئية بشكل صريح فهناك أمور عالجها بشكل مفصل وواضح وقد سبق ذكر النصوص التي تدل على ذلك ، وهناك أمور أخرى أعطى لها مؤشرات أو دلالات يمكن توظيفها والاستفادة منها في معالجة كل القضايا الجديدة والطارئة .

الخاتمـــــة

سبق القول أن العلاقة بين الإنسان والبيئة علاقة قديمة وأنها كانت قائمة على أساس المنفعة المتبادلة ، ولكن في الفترة الأخيرة حصل نوع من الاختلال وعدم التوازن بين الإنسان والبيئة ونتج عن ذلك الكثير من المشكلات والمخاطر التي أضرت بالحياة بشكل عام ، ومع أن الإنسان مكون من مكونات البيئة إلا أنه الأكثر تأثيرا فيها ، وتأثرا بتغيراتها .

وبناءً على ذلك فإن الأفراد والمجتمعات ووسائل الإعلام والتربية ينبغي عليهم أن يتحملوا رسالتهم ومهمتهم بكل أمانة وإخلاص، منطلقين في ذلك من مبادئ عقيدتهم ودينهم، فعلى الإنسان أن يدرك أنه قوة إيجابية فاعلة في هذه الأرض يعمرها ويستثمر خيراتها وينتفع بمواردها المتعددة ، ويقتضي ذلك شكر الله على هذه النعم والموارد والمحافظة عليها ، والتعامل معها بمسؤولية من أجل الصالح العام ، كما يقتضي ذلك حسن التعامل مع هذه الموارد بالوعي والتخطيط والتدبير، كما ينبغي الإشارة هنا إلى واجب الاعتدال والتوسط في الإنفاق ، وعدم الإسراف واستنزاف الموارد وهدرها فيما لا فائدة منه .

كما أن الإسلام يقيم منهجه في التعامل مع البيئة على أساس حماية مواردها والمحافظة على جمالها ونظافتها ، ويقصد بالموارد الطبيعية كل ما أوجده الله في البيئة المحيطة ليخدم حياة الإنسان سواء كان ذلك

في السماء كضوء الشمس ونور القمر والنجوم والسحب، أم كان مصدره الأرض كالبحار والجبال والنبات والحيوان والمعادن وغير ذلك فإن الإنسان مطلوب منه نحو هذه الموارد عدم الإساءة إليها أو إفسادها أو استخدامها بطريقة غير سليمة .

وفي ختام هذه الدراسة ينبغي تأكيد الأمور التالية :

- إن علاقة الإنسان بالبيئة ليست علاقة عداوة وصراع وتحدي ، وعنف وتدمير ، بل إن العلاقة القائمة بينهما كما تحددها الشريعة الإسلامية هي علاقة صداقة وانسجام وترابط وتعاون .
- إنه ينبغي على الإنسان المسلم الالتزام بالقيم الإيجابية التي تحثه على الحفاظ على البيئة .
- ينبغي عمل دراسات تحليلية تقارن بين غايات وأهداف التربية البيئية في المجتمعات غير المسلمة ، وبين غايات ومبادئ التربية البيئية في المجتمعات الإسلامية .
- التأكيد على أن الرقيب لدى المسلم في التعامل مع البيئة هو رقيب إيماني منبعث من عقيدة وإيمان الشخص ، فهو رقيب نفسه ، ولا يحتاج إلى سلطة تردعه أو تمنعه من الإساءة إلى البيئة .
- تكاد تنحصر القيم البيئية الإسلامية في أربعة أبعاد هي : قيم المحافظة ، وقيم الاستغلال ، وقيم التكيف والاعتقاد ، وقيم الجمال .
- هناك مشكلات بيئية مستحدثة ، ليس فيها نصوص صريحة في القرآن أو السنة ، وإنما يمكن استنباط طرق معالجتها من خلال قواعد ومبادئ الإسلام العامة ، التي تنص على النهي عن إلحاق الأذى والضرر بشكل عام .
- ينبغي على الأفراد والمؤسسات الحكومية أن يعملوا على عمل الدراسات والأبحاث الميدانية التي تكشف عن القيم البيئية السلبية في سلوك الأفراد والجماعات ، ومن ثم العمل على معالجتها والحد منها.
- ينبغي على المؤسسات التربوية والمنزل والجمعيات الرسمية وغير الرسمية التي تعنى بشؤون البيئة أن يعمل هؤلاء جميعا من أجل توعية الأفراد والمجتمع بأهمية حماية البيئة وطرق المحافظة عليها .
- ضرورة تضمين المناهج الدراسية والمقررات في جميع المراحل الدراسية مفاهيم ومضامين بيئية ، حتى يدرك الطلبة أهمية ذلك في حياتهم وحياة مجتمعاتهم .
- تشجيع الأفراد على إنشاء الجمعيات التي تدعو وتحافظ على البيئة ، وعلى الحكومة والمؤسسات بشكل عام دعم مثل هذه الجمعيات وتشجيع الناس في الانضمام إليها .
- ينبغي على خطباء المساجد والمرشدين فيها أن يعملوا على تخصيص ندوات وحلقات نقاش حول الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها .
- ينبغي على الأفراد جميعا أن يدركوا أن البيئة ملك للجميع وليس لفئة دون أخرى .

- ينبغي أن يدرك الأفراد أن مسؤولية حماية البيئة هي أمانة في أعناقهم وعليهم أن يدركوا حجم هذه الأمانة ويعملوا على رعايتها والمحافظة عليها .
- ينبغي للمسلمين أن يدركوا أنهم في حياتهم للبيئة من العابثين والمفسدين إنما يقوموا بواجب ديني هو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك من أجل سلامة الجميع .
- على الفرد المسلم أن يدرك أنه خليفة الله في الأرض وأنه سبحانه أعطاه الوسائل التي تتيح له فرصة الإفادة من عناصر هذا الكون دون إفساد أو عبث ، فعليه أن يقوم بواجب الخلافة خير قيام ، ويتحمل المسؤولية بكل اقتدار.

الهوامش

(1) : نبيل عبد اللطيف عبادي ، الإنسان والبيئة الطبيعية في اليمن ، سلسلة كتاب الجيب ، صنعاء ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، ط1 ، 1993م .
(2) : اسماعيل محمد المدني ، خالد أحمد بو قحوص المشكلات البيئية في الكتب الدراسية في المرحلة الإعدادية بدولة البحرين ، رسالة الخليج العربي ، العدد 48 ، الرياض ، 1993 .
(3) : المرجع السابق ص 99 .
(4) : محمد ابراهيم الصانع ، البيئة في المناهج والمقررات الدراسية ، مركز عبادي صنعاء ، 2000م ، ط2 .
(5) : صبري الدمرداش ، التربية البيئية النموذج والتحقيق والتقويم ، القاهرة ، دار المعارف ، 1988م ، ط1 ، ص68 .
(6) : عزيزة محمود رمال ، القيم البيئية في الإسلام ودور التربية الإسلامية في تنميتها ، رسالة ماجستير ، غير منشورة جامعة الملك عبد العزيز ، المدينة المنورة 1411هـ - 1991م .
(7) : علي احمد مدكور ، منهج تدريس العلوم الشرعية ، الرياض ، دار الشواف 1991م ، ط1 ، ص55 .
(8) : محمد أبو زيد ، نظرة قرآنية في تلوث البيئة ، صحيفة البيئة ، جامعة تعز ، عدد يناير 2000م .
(9) : أحمد اسماعيل عبد الكريم ، البيئة من منظور اسلامي ، مجلة منار الإسلام ، تصدرها وزارة العدل والشؤن الإسلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة ، العدد 7 ، 1997م .
(10) : عبد الرحمن محمد العيسوي ، تنمية الضمير البيئي ، مجلة التربية قطر ، العدد 129 ، يونيو 1999م .
(11) : رفعت عبد الوهاب المرصفي ، البيئة ومكوناتها وضرورة الحفاظ عليها ، مجلة منار الإسلام ، وزارة العدل والشؤون الإسلامية ، دولة الإمارات ، العدد 2 السنة 24 ، 1419/ 1998م يونيو.
(12) : عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني ، القاهرة ، ط1 ، 1414هـ ، 1994م ، ص116.
(13) : أنظر على سبيل المثال سورة البقرة ، الآية 261، وسورة الأنعام الآية 95 ، وكذا الآية 99 والآية 141 ، وغير ذلك .
(14) : السيد علي الأمين وآخرون ، البيئة ومشكلاتها الراهنة ، المنهاج ، لبنان ، العدد 13 ، 1999م.
(15) : عزيزة محمود رمال ، القيم البيئية في الإسلام مرجع سابق ، ص105 .
(16) : أنظر على سبيل المثال سورة القصص ، الآية 58 ، وسورة الإسراء الآية 16، والآية 27 ، سورة الواقعة الآية 41-46، هذا إلى جانب الكثير من الاحاديث النبوية التي دارت حول هذا الموضوع .
(17) : هناك بعض الآيات تشير إلى الرياح والأمطار وكيفية الاستفادة منها .
(18) : على سبيل المثال أنظر سورة طه آية 69 ، سورة النجم آية 19-20 .
(19) : على سبيل المثال أنظر سورة الملك الآية 3-4 ، وسورة ق آية 6 ، سورة فاطر آية 27 .
(20) : علي محمد التويجري ، التربية البيئية وحاجتنا إليها في دول الخليج العربي، رسالة الخليج العربي ، الرياض ، العدد 42 ، 1999م .
(21) : يعقوب أحمد الشراح ، التربية البيئية ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ط1 ، 1986

(22) : علي محمد التويجري ، التربية البيئية وحاجتنا إليها في دول الخليج العربي، مرجع سابق ، ص11.
(23) : عبد الباقي محمد النهاري ، المفاهيم والاتجاهات البيئية لدى طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء ، ومصادر اكتسابهم بها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، عمان ، جامعة اليرموك 1997م .
(24) : المرجع السابق ، ص6 .
(25) : وزارة الشؤون القانونية ، صنعاء ، 1990م .
(26) : ابراهيم محمد الحوثي ، إنصاف عبده قاسم وآخرون ، دراسة المعرفة والإتجاهات البيئية لدى تلامذة مرحلة التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية ، مركز البحوث والتطوير التربوي ، صنعاء ، 1998م ، ص7 .
(27) : عبد الباقي النهاري ، المفاهيم والإتجاهات البيئية لدى طلبة كلية التربية بجامعة صنعاء ، مرجع سابق ، ص11 .
(28) : محمد ابراهيم الصانع ، التربية البيئية العلاقة بين الإنسان والبيئة مركز عبادي ، صنعاء ، 2000م ، ط 2 ، ص27 .
(29) : محمد محمد عبد الحليم ، المسجد ودوره في تربية الفرد والمجتمع ، بحث مقدم إلى مؤتمر " التربية الدينية وبناء الإنسان المصري" المنعقد في جامعة المنصورة ، 1993م ، المجلد الأول.
(30) : محمد بن مقبل المقبل ، الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام ، الرياض ، دار العاصمة ، 1409 ، ط1 ، ص41
(31) : عزيزة محمود غربال ، مرجع سابق ، ص180.
(32) : محمد ابراهيم الصانع ، البيئة في المناهج والمقررات الدراسية ، مركز عبادي ، صنعاء ، 2000م ، ط2 ، ص55 .
(33) : يعقوب يوسف الغنيم ، " ماذا يريد التربويون من الإعلاميين " من وقائع ندوة ماذا يريد التربويين من الإعلاميين ، ج1 ، الرياض مكتب التربية لدول الخليج ، 1986 .
(34) : عبد الرحمن محمد العيسوي ، تنمية الضمير البيئي ، مرجع سابق ، ص293 .
(35) : صالح ذياب هندي ، المفاهيم البيئية في كتب التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية في سلطنة عمان ، رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، الرياض ، العدد 67 ، 1998م .
(36) : عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، البيئة في الفكر الإنساني ، مرجع سابق ، ص148 .
(37) : المرجع السابق ، ص29 .